التطور الفني في الشعر اليمني

بقلم هدلك ناجي

عندما اطل هذا القرن (١) ، كان ابو بكر العلوي يحمل لواء الشعر اليمني ، وكان شعره امتدادا لشعر القرن التاسع عشر في اغراضه واساليبه ، ركام من شعر المناسبات ، والفن في مثل هذا الشعر ضعيف غالبا ، وتمسك بالنسق العمودي الموروث في الشعر ، وكلف بالغ بالبديع والبلاغة اللفظية ، ثم موسيقى خطابية جاجلة.

كانت صور الشعر اليمني في الثلث الاول من القرن العشرين ، صورا مخزونه في ذهن الشاعر اليمني القرن العشرين ، صورا مخزونة في ذهن الشاعر اليمني ليست صورا جديده وانما هي صور عربية قديمة البسها الشاعر اثوابا جديدة .

وكان البيت هو الوحدة الشعرية والنفسية في القصيدة ، وليست الوثبه ولا القصيدة ، وبهذا المعنى لم تكن الوحدة العضوية معروفة عندهم . ولقد عبر أبو بكر العلوي عن بعض خصائص فنه في قوله :

بنيت من البديع لهم قصورا فهدمها قصورهم وخرب

في بواكير الثلث الثاني من القرن العشرين ، برز لون جديد في الشعر اليمني هو الشعر المسرحي ، وكانت مسرحية — همام ، او في عاصمة الاحقاف — للشاعر اليمني علي احمد باكثير (١٩٣٤) حدثا ذا اهمية كبيرة في ملاحظة تطور الشعر اليمني المعاصر ، لانها جسدت للمرة الاولى الوحدة العضوية في عمل شعري متكامل .

في وقت مقارب لهذا ظهرت مجلة الحكمة اليمنية ، والتفت حولها جمهرة من شعراء اليمن الشبان كان لهم اثر كبير في تجديد الشعر اليمني وفي تخليصه من قيوده اللفظية وفي السمو به عن كونه مجرد صناعة لفظية . ولقد عبر الزبيري عن هذا اجمل تعبير واوجزه حين قال :

ظنوا البديع جمال الشعر فاندفعوا
اليه من كل الغاز وتعقيد
تفاخروا وتباهوا انهم سلكوا
جوف الشعاب وآناف الصياخيد
وهكذا دفنوا التجديد في حفر
من البديع كقبر غير ملحود

التخلص من قيود البديع كان مرحلة من مراحل التجديد ، كما كانت المسرحية الشعرية مرحلة منه ، لكن القفزة الرائعة التي حققها شاعر يمني معاصر كانت في ابتكار الشعر المرسل المنطلق . فليس صوابا ما ظنه الكثيرون من ان الشعر المرسل قد ولد في العراق . ان الشعر المرسل قد ولد في اليمن ، واول من ابتكره الشاعر المجدد الاستاذ علي احمد باكثير ، في تعريبه رائعة شكسبير « روميو وجولييت » عام ١٦٣٧ ، اي قبل عشرة اعوام من التاريخ الذي كتب فيه السياب والسيدة نازك الملائكة اشعارهما المرسلة المنطلقة .

وان من يقرأ مقدمة مسرحية « اخناتون ونفر تيتي » للاستاذ باكثير والتي كتبها بالشعر المرسل المنطلق ونشرها عام ١٩٤٠ لا شك مدرك بان شعراء اليمن هم اول من اهتدى لهذا النوع من الشعر ، فلهم بذلك فضل الريادة والتجديد .

قال باكثير في مقدمته المذكورة :

لما ترجمت « روميو وجولييت » لشكسبير الى الشعر العربي قبل زهاء ثلاث سنوات استعملت هذا (النظم المرسل المنطلق) او بالتعبير الانكليزي Running Blank Verse كما عليه الاصل اذ اهتديت بعد التفكير الى انه اصلح نظم لترجمة شكسبير الى العربية . وقد وجدت ان البحور التي يمكن استعمالها على هذه الطريقة هي البحور التي تفعيلاتها واحدة مكررة كالكامل والرمل والمتقارب والمتدارك الخ. اما البحور التي تختلف تفعيلاتها كالخفيف والطويل الخ. فغير صالحة لهذه الطريقة فكان ان استعملت البحور الصالحة كلها في ترجمة « روميو وجولييت » . ثم لاحظت ان اصلح هذه البحور كلها واكثرها مرونة وطواعية لهذا النوع الجديد من الشعر هو البحر المتدارك فالتزمته في هذه المسرحية والبيت الواحد هنا يتألف غالبا من ست تفعيلات وقد ينقص عنها ولا يزيد عليها الا في النادر . كما ان البيت هنا ليس وحده كما هو الحال في الشعر العربي المألوف وانما الوحدة هي الجملة التامة المعنى فقد تستغرق هذه الجملة بيتين او ثلاثة او اكثر دون ان يقف القارىء الا عند نهايتها وهذا هو معنى المنطلق هنا . اما معنى المرسل فواضح اي انه مرسل من القافية ...

ثم قال بعد ذلك : وفي نظري ان هذه الطريقة الجديدة التي لم اعلم احدا سبقني اليها هي اصلح طريقة للشعر التمثيلي » .

واذا كانت اصالة الشعر تتجسد في الايحاء بالفكرة عن طريق التعبير بالصور فان الصورة في الشعر اليمني حتى حرب فلسطين قد عانت عيوبا عديدة ، اهمها في نظري :

١ — اتسمت الصورة في هذه المرحلة

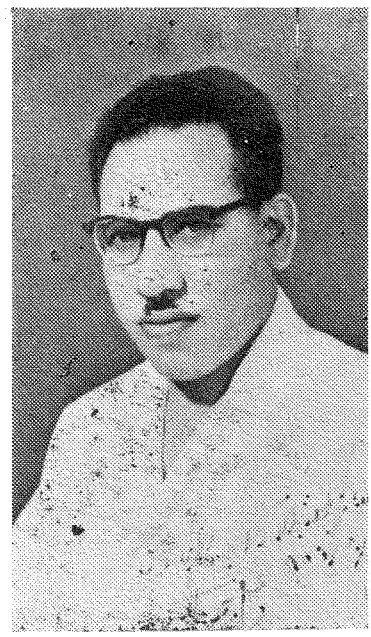

(١) فصل من كتاب — اضواء على الشعر الحديث في اليمن — سيصدر قريبا عن مكتبة المعارف ببيروت .

بالخطابية وبالمبالغة .

٢ – اتسمت الصورة بالوقوف عند حدود الحس .

٣ – اتسمت الصوره بانها احتجاجيه عقليـــه ، والاحتجاج تصريح يناقض الايحاء .

٤ – ان عنايه الشاعر بعضويه الصورة كانت ضعيفة.

لكن شعر الكفاح اليمني ولا سيما ما دار حول ثوره ١٩٤٨ الخالده قد اتسم بالصدق الذي هو محور التجربه الشعريه وقطب رحاها ،لقد انطبعت هذه التجارب الكفاحية بالصدق رغم انها من شعر المناسبات ، لان اصحابها قد عاشوا هذه التجارب في حيواتهم وعبر دروب كفاحهم .

بعد انتكاسه ثوره ١٩٤٨ برز شعراء يمنيون تاثروا بالشعر الغربي وتسلحوا بثقافه الغرب ، فظهرت معالم التجديد في اشعارهم ، بدات مفاهيم نضوج التجـــربه الشعريه ، والوحده العضويه والايحاء بالافكار عن طريق الصور ، تشق طريقها عبر قصائدهم .

يمثل لطفي جعفر امان ، ومحمد عبده غانم ، فـــي راينا هذا الاتجاه الجديد ، الذي حمل في عروقه دمـــا جديدا ، رفل به الشعر اليمني المعاصر . ان من يقـــرا « هيلين » و « قصتها كانت معي » و « نهايه » و « كـــم قاسا احببتها »للشاعر لطفي امان ومن يقرا قصيدة «حديث الجماجم» للشاعر محمد عبده غانم يشعر ان القصيـــدة الواحده من هذه القصائد هي بنيه حية لا شظايا متناثـرة يضمها اطار موسيقي واحد ، وان هذه البنية تتقدم فـي التصوير في حركه موحية ، ونامية وان اجزاء الفكرة مرتبه فيها ترتيبا منطقيا ينتهي بنهاية منطقية .

ان العزوف عن الخطابية والمباشرة ، واللجوء الـى الايحاء بالافكار عن طريق التعبير بالصور هو احد مظاهـر التجديد ، في هذه المرحلة .

اما موسيقى الشعر اليمني قبل ثورة ١٩٤٨ فقـد اتسمت ، باستثناء تجربه باكثير ، بوحده الوزن والايقـاع والقافية ، فلما برز المجددون اعتمدوا التفعيلة محتفظين بالايقاع مهملين الوزن . اما القافيه فقد يهملونها احيـــانا وقد يستعملونها احيانا لاحداث تناغم موسيقي داخلي ، لكن اغلب من كتبوا الشعر المرسل المنطلق ما زالوا يمارسون التجارب العمودية كالشعراء علي عبد العزيز نصر وعبـده عثمان وسعيد الشيباني وعبد السلام ناجي ، مما يؤكـد أن النوعين من الشعر يمكن ان يتعايشا سلميا معا .

وبعد فثمة براعم يمنية واعدة برزت في السنـوات الاخيرة وصارت تشق طريقها باصرار عن طريق الصحافة، هذه البراعم التي يمثلها في نظرنا محمد انعم غالب وعبد السلام ناجي وعبده عثمان وعلي عبد العزيز نصر وسعيـد الشيباني والجابري ، لم تنشر ديوانا بعد ، ولكنها تمثـل مدرسة جديدة في الشعر اليمني تؤمن بان الشعر الحديث هو ثورة في الشكل والمضمون معا ، فالشاعر منهم يحاول ان يمد اطراف تجربته الى اقصى الفجر ، لكن هذه البراعم الواعدة وهي في غمرة سعيها للتجديد ، تسقط في هـوة التقليد حين تحاول احتذاء نماذج الشعراء المحدثـين ، وتقليدها . وعيب الصورة الرئيسي عند هؤلاء انها متنافرة من الداخل . ان هذه الاجنحه الصغيرة اذا ما تكاثـف ريشها واشتدت قوادمها وخوافيها مستطيعة ولا شك ان تحلق عبر اجواء الفضاء في مضاء وعزم وابداع وان تضيف جديدا للشعر اليمني المعاصر .

هلال ناجي

سلسلة الجوائز العالمية

صدر منها :

١ ـ المثقفون

رائعة الكاتبة الوجودية الكبيرة

سيمون دو بوفوار

الحائزة على جائزة غونكور الفرنسية

ترجمة جورج طرابيشي

في جزءين ـ ثمن الجزء ٧ ليرات لبنانية

٢ ـ السام

اخر رواية للكاتب الايطالي الشهير

البرتو مورافيا

وهي الحائزة على جائزة فياريجيو الكبرى

الثمن خمس ليرات لبنانية او ما يعادلها

٣ ـ ابك يا بلدي الحبيب

تصوير رائع للماساة العرقية في افريقيا الجنوبية

تاليف الان بيتون

ترجمة خليل الخوري

الثمن ٤٥٠ قرشا لبنانيا

منشورات دار الاداب ـ بيروت